الزخارف البديعية في الأمثال الشعبية الثورية

دراسة بلاغية تحليلية-

Exquisite decorations in revolutionary folk proverbs - Analytical rhetoric study

د.فتيحة بلحاجي

المركز الجامعي مغنية

ملخص:

يروم هذا المقال دراسة باقة من الامثال الشعبية التي ذاع صيتها إبان الثورة التحريرية الجزائربة ، فالمثل الشعبي غاية في الأهمية في حياة أي شعب ؛و تتجلى استمراريته رغم تغير الثقافة و الأزمنة، فهو ليس حبيس المعطى الأدبي، بل هو أصدق أشكال التعبير الثقافي الذي حمل في طياته بقايا معتقدات دينية و بدايات الانسانية و وثائق تاريخية ، مصورا لتلك البيئة التي انتجته بخطاب لغوي إما صريحا أو مظمرا ،ومن بين المقاربات التي أولت عناية فائقة للغة المثل الشعبي و قيمه باعتبارها موضوعا للتعبير و التواصل ؛ نجد المقاربات البلاغية ،حيث جاء عملنا مرتكزا على جانب مهم و مضيء في الأمثال الشعبية بغية تقصي جماليات بلاغة السبك اللغوي من جهة ،و تبيان أثر المثل الشعبي في المجتمع الجزائري من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية: الأمثال الشعبية الثورية، البديع ، مقاربة بلاغية تحليلة.

Abstract:

This article intends to study a group of popular proverbs that became famous during the Algerian revolutionary revolution. The popular example is very important in the life of any people; its continuity is evident despite the change of culture and times. It contains the remnants of religious beliefs, the beginnings of humanity and historical documents, depicting that environment that produced it with a linguistic speech, either frank or intoxicated. An important aspect and m Shine light on popular proverbs in order to explore the aesthetics of rhetoric, linguistic foundry, on the one hand, and show the impact of popular ideals on Algerian society on the other hand

Keywords : revolutionary folk proverbs, Budaiya, rhetorical, analytical approach.

✓ **مقدمة:**

المثل تعبير عن فلسفة في الحياة و عصارة مختلف التجارب التي وسمت العنصر البشري في اتصاله وتواصله بمختلف مناحي الحياة ومكوناتها؛ ولعل هذا ما جعل أي محاولة لوضع حدود بين الثقافة الشعبية والأدب الشعبي و الفصل بينهما تبوء بالفشل، فكل طرف يعبر عن الآخر وذلك انطلاقا من تداخل عناصرهما (الحكاية -المحلمة –المثل-المرددات –الفلكور- الطقوس-المعتقدات-العادات والتقاليد- الأعراف ...) في ما يسمى بالمأثورات الشعبية.

فمنذ العصر الجاهلي شهدت الثقافة العربية اهتماما كبيرا بجميع تراث الأمثال في اللغة العربية فقد كانت الأمثال حكمة العرب في الجاهلية . وبعد ظهور الإسلام ظهرت مساهمات عديدة في هذا المجال، فانتقلت أكثرية الأمثال إلى عصر التدوين مع ما انتقل من تراث العرب القولي ، فجمع الكثير منها في عدد من أمهات كتب التراث العربي في هذا المجال .

1- دراسات حول الأمثال :

لقد شغل المثل الشعبي الباحثين منذ زمن بعيد ، فحظي بعناية و اهتمام على غير باقي الأجناس الأدبية الشعبية و كان موضعا لدراساتهم و إبداعاتهم ، و في مقدمتهم نذكر المفضل الضبي بكتابه "أمثال العرب " و فريديريك زايلر بكتابه "علم الأمثال الألمانية " و الميداني بموسوعته " مجمع الأمثال" و العسكري ب" جمهرة الأمثال " و "الوسيط" للواحدي و الأبشيهي بجوهرته " المستظرف في كل فن مستطرف" ، المستقصي في الأمثال للزمخشري ، ضف إلى ذلك أحمد تيمور ب"الأمثال العامية " و أحمد أمين

ب"قاموس العادات و التقاليد ،و التعابير المصرية ،كما لاننسى السيدة فائقة حسنين راغب بكتابها "حدائق الأمثال العامية"" و هجرتي كراب "ب علم الفلكلور و نبيلة إبرهيم في "أشكال التعبير في الأدب الشعبي "و أخيرا "عبد المالك مرتاض بكتابه "الأمثال الشعبية الجزائرية –دراسة في الأمثال الشعبية الزراعية و الاقتصادية بالغرب الجزائري، محمد بن أبي شنب بمصنفه أمثال جزائرية من الجزائر و المغرب العربية، قادة بوتارن بمؤلفه الامثال الشعبية الجزائرية ، ومصنف عبد الحميد بن هدوقة...

2-إطلالة مصطلحية حول المثل الشعبي :

يفيد المثل معنيين إثنين : معنى ظاهر و آخر باطن ، أما الظاهر فهو حدث من أحداث التاريخ أو ما إلى ذلك ، أما الباطن فمرجعه إلى الحكمة و الارشاد[1]، وعليه فالمثل **لغة** كما جسده **ابن منظور** هو :" الحـــــديث نفسه ..، و المثل : الشيء الذي يضرب مثلا فيجعله مثله"[2]، و يضيف قائلا:" و يكون المثل بمعنى العبرة و منه قوله تعالى : "**فجعلناهم سلفا و مثلا للآخرين** "الزخرف ، الآية 56. فمعنى السلف أنا جعناهم متقدمين يتعظ بهم الغابرون ، ومعنى قوله : "مثلا" أي عبرة يعتبر بها المتأخرون ، ويكون المثل بمعنى الآية كقوله تعالى في صفة عيسى –ع س- : "**و جعلناه مثلا لبني اسرائيل** "الزخرف الآية 59 للدلالة على نبوته "[3].

أما **اصطلاحا** : يعرفه " **أبو هلال العسكري**" في تعريفه للمثل: " الأمثال نوع من العلم منفرد بنفسه لا يقدر التصرف فيه إلا من اجتهد في طلبه حتى أحكمه، وبالغ في التماسه حتى أتقنه. وليس من حفظ صدرا من الغريب فقام بتفسير قصده وأغراضه وخطبه قادرا على أن يقوم بشرح الأمثال والإبانة عن معانيها والإخبار عن المقاصد منها، وإنما يحتاج في معرفتها مع العلم بالغريب إلى الوقوف على أصولها والإحاطة بأحاديثها ويكمل لذلك من اجتهد في الرواية وتقدم في الدراسة"[4].

هذا وقد يشترك المثل مع ما عرف بفن الابيجراما في الآداب الغربية من حيث طريقة التركيب و البناء و المحتوى المضموني و التركيز و الدلالة المباشرة على المعنى ، واستخدامه للغة مميزة و تاريخه منذ العصر الجاهلي و انتقاله إلى عصر صدر الاسلام و العصر الأموي.[5]

المثل كجنس من الأجناس الأدبية الشعبية هو قول شعبي مأثور يمثل خلاصة تجارب حياتية و محصلة خبرات إنسانية (شعبية فردية كانت أم جماعية)، يتميز بإيجاز اللفظ و إصابة المعنى و جودة الكناية و حسن التشبيه ، فهو كالعملة ذات وجهين ، وجه يحيلنا على الحدثة الأولى التي قيل فيها (المورد) و آخر يحيل على الحادثة المشابهة للأولى و التي يعاد فيها ضرب ذلك المثل (المضرب) .

[1]-الحكم و الأمثال : فنون الأدب العربي –الفن التعليمي 3، حنا فاخوري ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، 1929، ص9.

[2]- لسان العرب ، ابن منظور، دار صادر –بيروت – لبنان ، 1975 ، الجزء11، ص 611.

[3]- المصدر نفسه ، ص 610.

[4]- جمهرة الأمثال، العسكري أبي هلال، دار الكتاب العلمية، بيروت، ج1، 1988 ص11.

[5]- الحكم و الأمثال : فنون الأدب العربي ، حنا فاخوري ، ص11. See Epigram . Encyclopaedia Brittanica

3- المثل من منظور بلاغي :

البلاغة في اللغة الوصول والانتهاء فيقال: "بلغ فلان مراده إذا وصل إليه، وبلغ الركب المدينة إذا انتهى إليها أو شارف عليها، وبلغ الرجل بلاغة فهو بليغ: إذا أحسن التعبير عما في نفسه"[6]، أما اصطلاحا فهي " فن التعبير الذي يهدف من خلاله القائل وضع المتلقي في موقف ايجابي أو سلبي للتأثير فيه بحسب دائرة التواصل بينهما، وأثناء عملية الجريان التوظيفي للشروط التداولية يتحقق الأثر البلاغي »[7]، وكان لابد **للبلاغة القديمة** وهي تتبلور في محطات عدة، أن يكون لكل مركب بلاغي ارتباط مع ما « يجاوره مقام أو مناسبة المقال للمقام أو مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ومقتضى الحال أحد الموازين البلاغية الدقيقة وأي عدول عنه يفضي بالكلام إلى التشذر في لون الصياغة وقيمتها الفنية، وجوهر مقتضى الحال يجل وجوده في اللسانيات والأسلوبية مع التداولية وهي التي تعنى بتحليل عمليات الكلام والكتابة ووصف وظائف الأقوال اللغوية وخصائصها خلال إجراءات التواصل مما يجعلها ذات صيغة تنفيذية عملية » [8].

لقد حقق المثل الشعبي فعل التواصل كونه حاملا لصفة الانتقال بين الأجيال عن طريق المكتوب و المنطوق ،و تتفق التداولية مع الأدب الشعبي عامة و المثل خاصة في صرف النظر عن الذات المتلفظة (مجهولية المؤلف) التي تشكل إحدى مرتكزات العملية التواصلية،ثم دراسة اللغة في إطار حيز الاستعمال ، وبالتالي تجاوز الرتابة و المعيارية في البنية و الدلالة ،وصولا إلى سياقيْ النص الشعبي "الداخلي و الخارجي " ممثلا في المقامات التي تشكل الخطاب، و التي تُفضي بنا إلى ملامسة هدف الابلاغ ، فالمثل الشعبي ليس حبيس المعطى الأدبي، بل هو أصدق أشكال التعبير الثقافي الذي حمل في طياته بقايا معتقدات دينية و بدايات الانسانية ، مصورا لتلك البيئة التي انتجته بخطاب لغوي إما صريحا أو مظمرا، و عليه بات مرام الدراسة البلاغية إنتاج معنى جديدة لها داخل السياق النصي، أما تقفي أثر بلاغة الأمثال الشعبية فسببه كون « **البلاغة في عمق تكونها، وأهدافها هي التداولية** لأن كليهما يعتمدان طرفي معادلة الاتصال :

المثل عبارة عن قول مأثور يعتمد السجع و الجناس و التكرار مستهدفا الحكمة و الموعظة ، و هو أسلوب بلاغي قصير ذائع الصيت بالرواية الشفوية واصفا للذوق الشعبي و مجسدا للنقد الجماعي ينبني على الاقتباس و

التضمين ....،عند البلاغيين هو حالات من التمثيل ، فهو تشبيه و استعارة أو كناية و هذا ما أكده عبد القاهر الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة: "أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا [...]فإن

[6]- البلاغة والأسلوبية، أبو العدوس يوسف، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1999م، ص46.

[7]- الأسلوبية و ثلاثية الدوائر البلاغية، عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2002، ص40.

[8]- م ن ، ص ن

كان مدحا كان أبهى وأفخم [...] وإن كان ذما كان مسه أوجع وميسمه ألذع، ووقعه أشد وحده أحد .[...] وإن كان افتخارا كأن شأوه أبعد، وشرفه أجد، ولسانه ألد، وإن كان اعتذارا كان إلى القبول أقرب .[...]وإن كان وعظا كان أشفى للصدر، وادعى إلى الفكر، و ابلغ في التنبيه والزجر.."[9] فالمثل عند البلاغين يمثل في حقيقته حالة خاصة من التمثيل، أي أنه عبارة استعارية تصور في مضمونها مثلا، وهذه الطريقة التعبيرية تنقل تصويرا يحمل في طياته معنى التمثيل. فنصل إلى أن المثل عند البلاغين ": تشبيه وجهه غير حقيقي منتزع من عدة أمور وهو تشبيه حال بحال"[10].

يقول الزمخشري: « فالأمثال قصارى[11] فصاحة العرب العرباء، وجوامع كلمها، بيضة منطقها وزبدة حوارها وبلاغتها التي أعربت بها عن القرائح السليمة، والركن البديع في درابة اللسان وغرابة اللسن حيث أوجزت اللفظ وأشبعت المعنى وقصّرت العبارة وأطالت المغزى، ولوّحت فأغرقت في التصوير، فأغنت عن الإفصاح»[12]، أما **ابن المقفع** فقال « إذا جعل الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق وآنق للسمع وأوسع لشعوب الحديث »[13] ،وأبو **حيان التوحيدي** يرى أن« بلاغة المثل في أن يكون اللفظ مقتضباً، الحذف محتملاً، والصورة محفوظة، والمرمى لطيفاً، والتلويح كافياً، والإشارة مغنية و العبارة سائرة»[14].

هذا بالنسبة للمثل عند القدامى ، فلو طرقنا باب المحدثين لوجدنا له حضورا مميزا و حضوة بلاغية ثمينة ، فرشدي صالح مثلا يعرفه قوله : "هو الأسلوب البلاغي القصير الذائع بالرواية الشفاهية المبين لقاعدة الذوق أو

السلوك أو الرأي الشعبي ولا ضرورة لأن تكون عباراته تامة التركيب بحيث يمكن أن نطوي في رحابه التشبيهات والاستعارات والكنايات التقليدية"[15]. أما طه حسين فيرتقي بالأمثال للقمم إذ يقر بأنه :" قمة البلاغة وأبدع أنواع الاختصار والاختزال في حكمة بالغة بارعة فيها جميل إرشاد للسامع .وحتى تذكرة له بصورة من الماضي . ومعلومة بحدث تاريخي ارتبط بالمثل عله من جليل توجيهه يستقيم عوده ويتكامل بنيانه [...]هو مزاج من نصح وهداية على قدر كل نفس وما لديها من ملكات تنهل منه ما تقنع نفسه [16] .

فالأمثال عند **طه حسين** اختصار الكلام في درر من المعاني الموجزة المختصرة .فيَخْتصر التاريخ في عبارات دقيقة و واضحة هذا لأن النفس

---

[9]- أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمد الفاضلي ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، ط2 ، 1420هـ -1999م ، ص88-89.

[10]-شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة و محاسن البديع ، صفي الدين الحلي ، تحقيق د/ نسيب نشاوي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، دط ، د ت ، ص115.

[11]- قد يكون للأمثال بلاغتها الفذة و لكن لم نعلم أن أحداُ من الدارسين قد فضلها عن الشعر الذي عُد ديوان العرب و مصدر الفصاحة و البلاغة معاً و عليه فإننا نرى كلمة قصارى هاته في محل لا يليق بها و إن كان قول يستحق التفوق على الشعر فلا نراه إلا الحكمة الخالصة .

[12]- الأمثال في القرآن ، العبدلي الشريف منصور بن عون ، عالم المعرفة جدّة، ط1 ، 1985 ، ص22 .

[13]- أنظر مقدمة الميداني، مجمع الأمثال، ، ص18 .

[14]- الإمتاع و المؤانسة ، أبو حيان التوحيدي ،دار مكتبة الحياة بيروت ، ج2 ، دت، ص141 .

[15]- الشعب المصري في أمثاله العامية ، ابراهيم أحمد شعلان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، دط، 1391هـ-1972م ص 15-16.

[16]- امثال العرب ، فؤاد علي رضا ، ص 11.

البشرية تجيد اختيار ما يعبر عن خلجاتها وملكاتها العقلية .فتجيد القرائح بما يترك وقعه في النفس.

أما عن الأمثال عند **أحمد أمين** فهي ":نوع من أنواع الأدب تمتاز بإيجاز اللفظ وحسن المعنى ولطف التشبيه وجودة الكناية ولا تكاد تخلو منها أمة من الأمم .ومزية الأمثال أنها تنبع من كل طبقات الشعب .[...]وأمثال كل أمة مصدر هام جدا للمؤرخ الأخلاقي والاجتماعي يستطيع كل منهما أن يعرف كثيرا من أخلاق الأمة وعاداتها وعقليتها ونظرتها إلى الحياة لأن الأمثال عادة وليدة البيئة التي نشأت عنها"[17]

فأحمد أمين في تعريفه للمثل يركز على جانبين أساسيين وهما الجانب الأدبي، والجانب الموضوعي .أما الجانب الأدبي -الذي نرتكز عليه في هته الدراسة- فيتوافق فيه مع القدماء وهذا في وضع خصائص ومميزات للمثل يتوفر عليها وهي: الإيجاز، وإصابة المعنى، وجودة الكناية، وحسن التشبيه .وهي جوانب بلاغية بالدرجة الأولى.

تعتمد الدراسة البلاغية للمثل على شقين ، أولهما الدراسة التركيبية و ثانيهما الدراسة الصوتية التي تحيلنا نحو الايقاع الصوتي و التنغيم و الانسجام الكلي للألفاظ الذي يشكل بدوره خصوصية بلاغية فنية ، فموسيقى الكلام التي يتشكل منها المثل الشعبي عمادها التوازنات الصوتية التي تجسد خاصية توافق الأصوات واختلاف الدلالة، ، و المقصود بالتوازنات" تلك العناصر اللغوية المشخصة للإيقاع، والتي تجعلنا نحسه في القصيدة الشعرية أو في النص النثري والمنتجة كذلك لعنصر التنغيم والمدعمة له في حالة الأداء عن طريق تردد الصوامت والصوائت اتصالا وانفصالا في مواقع متقاربة أو متباعدة وفي مستويات من التمام و النقص".[18]

4- الأمثال الشعبية الثورية :

لقد تجلت الروح الوطنية و القيم الجهادية في الأمثال الشعبية ،حيث وجدت الثورة الجزائرية و المقاومات الشعبية صدى لها في نصوصها التي كانت بمثابة شيفرات بين أفراد الجيش خاصة و أبناء الوطن عامة ، فمن القيم التي كانت حاضرة و فعالة أثناء الثورة و ترجمت المخزون الديني و الاجتماعي و الانساني في ذاكرة الشعب نجد: التعبير عن ايمانهم بالدين الاسلامي أولا و العروبة ثانيا و تقديس الوطن و الحرية ثالثا ، كما حملت في طياتها العديد من المبادئ كالصمود و الكبرياء و البطولة و موضوعات المقاومة، و الثورة ، و الحماسة، و نشوة الانتصارات، و ما يتصل بالحرب بصورة عامة، كما أنها ساهمت في بلورة الفكر الثوري وعبرت عن المواقف السياسية النضالية لدى الشعب، فالثورة الجزائرية استلهمت قيما إنسانية وطنية و بالتالي فقد وجدت الثورة صداها في الأمثال الشعبية بدورها الفعال في هذه العملية النبيلة بواسطة الكلمة الشعبية البسيطة من أفواه مبدعين عصاميين، هم من أوساط الشعب المقهور، يتحدثون لغته اليومية ويعيشون مأساته كغيرهم، خرجوا عن الصمت المطبق إلى الكلمة المعبرة

[17]- قاموس العادات و التقاليد و التعابير المصرية ، أحمد أمين ، طبع لجنة التأليف و الترجمة ، دط، 1953م ، ص 61.

[18]- البنية الايقاعية للقصيدة المعاصرة في الجزائر، تيرماسين عبد الرحمان، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط1، 2003م، ص191.

عن النفوس الجريحة، تبكي المأساة وتعمل على تضميد الجراح التي لم تندمل، وتفتح للشعب الأمل العريض من أجل غد أفضل ومستقبل واعد.

5- جماليات البديع في الأمثال الشعبية الثورية:

تشعبت فروع البلاغة و تنوعت ، فاصطبغ علم البديع بصبغة التكرارية و التداولية و التقابلية ... مثلما اصطبغ المثل الشعبي بتجديد المواقف التي تعترض الانسان ،فبات طاقة شعورية تتجدد بمجرد ما يستحضر في الموقف المعترض فتكسبه غنى واتساعا ومحاججة على أنه طاقة متجددة ونص قابلة للتجدد والمعايشة صامدا في وجه الزمن فلا يتحلل إلى أجناس أدبية أخرى.[19]

سنكتفي في هذا المقام البلاغي بطرق باب أساليب البديع التكراري الذي يتجلى في ظاهر النص، فيؤدي وظائف ترتبط بالمتلقي السامع أو القارئ ويمتد أثر تلك الوظائف في بنية النص نفسه؛لأن بنيته تحمل دلالة مقصودة تعمل باتجاهين "المتلقي والنص" ، إذ إن تكرار عنصر من العناصر كفيل بأن يولد نسقا داخل النص، وهو نسق الانتظام، ولاشك في أن كسر هذا النسق، أو العدول عنه سيؤلف ملمحا أسلوبيا يثير المتلقي بفعل العملية التي دعاها **رومان ياكوبسن** بالانتظار الخائب[20] ، وتتضح وظائف البديع التكراري على مستوى النص بإيجاد الروابط والعلاقات بين أجزائه التي تسهم إسهاما كبيرا في دلالة النص[21]،و تعمل البنية التكرارية باختلاف مستوياتها البنائية على إثراء المنظومة النصية للخطاب الأدبي،إذ يفرز تناغما إيقاعيا وموسيقيا وتجاوبا دلاليا بين المتلقي والمتكلم بوساطة النص الحامل لتلك البنى، فلا غرابة بعد ذلك أن يعد رولان بارث **R.Barth** التكرار مولدا لمتعة النص[22]، ذلك أنه أثر وأثر بالغ ومقصود .

أ-السجع :

نقصد بالسجع توافق بين فاصلة أو أكثر في الحرف الأخير من الشطر الأول للكلام مع فاصلة الحرف الاخير من الشطر الثاني من الكلام ،إذ يحقق **السجع** في الأمثال الشعبية بازدواج فقراته عنصر **الإيقاع** مقابل ما يحققه الوزن في الشعر من ايقاع [23]، فهو ظاهرة صوتية قوامها الحروف المشكلة لاواخر الفواصل ، و بها يتجمل التوازن الصوتي ، يعرَّف بأنه "تواطؤ الفواصل في النثر والشعر على حرف واحد،والأصل فيه الاعتدال في مقاطع الكلام"[24].

---

[19]- الأمثال النبوية، دراسة أسلوبية، قادة يعقوب ،معارف، مجلة علمية فكرية محكمة، المركز الجامعي، البويرة، الجزائر، العدد الأول، ماي 2006م، ص52.

[20]- مفاتيح الألسنية ، جورج مونان ، تعريب الطيب البكوش ، مؤسسة سيدان للطباعة والنشر، سوسة 1994 م ص 135

[21]- المعنى و ظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية ، د.محمد محمد يونسى علي، دار المدار الإسلامي، ردمك، ليبيا،2008 ، ط ٢، ص 202.

[22]- لذة النص ، رولان بارت، ترجمة فؤاد صفا، والحسين سبحاز، دار توبقال، ١٩٨٨ م .، المغرب، ط ١ص 44-45.

[23]- السجع في القرآن ، بنيته و قواعده، (بحث) ديفين ستيوارات،ترجمة وتعقيب محمد بربري ١٩٩٣ م ،بحث منشور في فصول مجلة(، المجلد) ، العدد ١٢، ص 14.

[24]- المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير الموصلي (ت ٦٣٧ هـ)،تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، مصر، ١٣٥٨ هـ /١٩٣٩ م، ص 193-196.

"اشترط البلاغيون في جمال السجع شروطا إذا توفرت أبعدته عن التكلف وأدخلته في النوع المرغوب المطلوب لدى النفوس، إذ تتأثر به وترضى المعنى الذي ينقله، وبالتالي فلدراسة السجع باعتباره ظاهرة صوتية يجب التركيز على أنواع معينة منها، إذ هو كما حدده البلاغيون أربعة أقسام "المطرف والموازي والمشطر والمرصع" [25] ، فالمطرف هو اختلفت فيه الفاصلتان أو الفواصل وزنا رويا على وزنها، وأما **الترصيع** فهو عبارة عن مقابلة كل لفظة من الجملة بلفظة على وزنها، وأما **السجع المتوازي** فهو أن تتفق اللفظة الأخيرة من الفقرة مع نظيرتها في الوزن والروي، وأما **السجع المشطور** فهو أن يكون لكل شطر من البيت قافيتان مغايرتان لقافية الشطر الثاني وهذا النوع من السجع لا نجده إلا في البيت الشعري وبالتالي فهو غير مستعمل في **الأمثال الشعبية الجزائرية**[26].

إن ظاهرة السجع تكاد تكون السمة الغالبة في الأمثال الشعبية ، كونها الصفة الأساسية التي تميزها على غرار بعض الفنون النثرية الأخرى ، و هذا إن دل على شيء إنما يدل على الثقافة اللغوية و الحس البلاغي في الأوساط الشعبية الجزائرية ، ومن أمثلة ذلك : **وطني وطني و لا فراش القطني (و لا مباتي فالقطني)** بمعنى تفضيل الوطن الغالي و حبه و حب العيش فيه على أي شيء آخر و لو خير بين الترف و الحياة الرغداء على التخلي عن الوطن لإختار الجزائري وطنه و فضل المبيت في العراء بدل الخيانة والرفاهية ، فحب الوطن فطرة في المواطن الجزائري حيث ارتقى بحب وطنه و اختار الموت والدفاع عنه بالنفس و النفيس على العيش الرغيد في مذلة يقول أحمد شوقي في هذا الصدد:

وطني ولو شغلت بالخلد عنه نازعتني إليه في الخلد نفسي.

نلاحظ تمركز الزينة اللفظية السجعية في "وطني ، القطني "تركز على الحروف التي وقعت في أواخر الفواصل ،لتحديد صفاتها ومخارجها، لنخلص في الأخير إلى دراسة التوازن الصوتي الذي يمثل ضربا جديدا من التشكيل الصوتي في المثل.

و في المجال نفسه يقول المثل الآتي :" **زيش الهراية و ايباتو جرايا و ايموتو على الرايا** "، كلمة زيش معناها جيش و لفظة الهراية : مأخوذة من مصطلح الهرير، و هو صوت الرحى عند دورانها و أيضا من الهَّر : و هو صوت جري الأسد ، و ايباتو جرايا أي : لا يخلدون إلى النوم و لا يعرفون الراحة من أجل الكفاح و الجهاد في سبيل الوطن لغاية الاستشهاد أو الظفر بالحرية ، و الراية نعني بها العلم الوطني رمز من رموز الوطنية ، و مفاد هذا المثل هو الاشادة ببطولة الشعب الجزائري و انتصاره على الباطل.و يتجلى السجع أيضا في :

---

[25]- خزانة الأدب، تقي الدين على بن عبد الله، أبو بكر الحمودي، تحقيق عصام شيتو، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط1، ج2، 1987م، ص 412.

[26]-ينظر: اللسانيات الجغرافية و أثرها في توجيه الدلالة – دراسة في المنطوق الأسري للغرب الجزائري أنموذجا- ،بلجيلالي خيرة ، أطروحة دكتوراه تخصص "اللسانسات التطبيقية"، كلية الادب العربي و الفنون ، قسم الادب العربي ، جامعة عبد الحميد بن باديس –مستغانم ، الجزائر، 2018/2017، ص400-401

"الهراية ، جرايا، الرايا" فقد جاءت على وزن واحد،فأضافت للمثل الشعبي قيمة جمالية،ليبدو أخف على السمع،وأقدر على التأثير في النفوس.

و مثل مسجوع آخر : "**الصبر على الاولاد و الموت على البلاد ما كيفهم جهاد**" ، تجلى الجناس في حرفي الألف و الدال "اد" في " الاولاد ، البلاد ، جهاد " .

ونضيف أمثالا أخرى استوطن فيها السجع : - **الدين ينسد و العدو ينهد.- النسا بالاقوال و الرجال بالأفعال.- الواشي كي الراشي كلشي عندو ماشي- اللفعى ما تنحط فالجيب و العدو ما يولي حبيب....**

فالسجع يؤدي دورا جماليا كبيرا في المثل الشعبي، حيث أنه يسهم في تداوله وحفظه في الذاكرة، فتأتي جملة المثل منغمة ومستوعبة للمعنى ،فهو يقوم على تناسق اللفظ والمعنى معا، كما أن المثل يمثل تراثا شفويا منطوقا، لذلك لابد أن يكون مركزا في معناه وموجزا، وهذا مايعرف بالمثل الموجز، وقد يطول التركيب المثلي فيتجاوز الجملتين وهنا يكون السجع ضروريا،لأنه يضمن درجة عالية من الربط الشكلي بين أجزاء المثل ويساعد الذاكرة على حفظه،ويسهل جريانه على الألسنة بين عامة النا س.فالسجع يؤدي إلى توازن الفقرات واتحاد قو افيها في المثل،بالإضافة إلى مايتمتع به من إيقاع موسيقي من خلال الأحرف المكررة التي لها أثر في إضفاء الأسلوب السحري[27]. إذن يقوم السجع المثل الشعبي عامة و الثوري خاصة على تناسق كلي للفظ والمعنى ، و إيقاع موسيقي من خلال الأحرف المكررة و تنغيم ساهم في حسن معمارية و جمالية المثل .

ب- الجناس :

حدد البلاغيون الجناس بأن تتفق اللفظتان في اللفظ مع الاختلاف في المعنى[28] ويتبين من هذا المفهوم أن الجناس ذو طبيعة تكرارية منشؤها معاودة الألفاظ مع الاختلاف في المعنى، وبذلك يكتسب الجناس شرعية الانتماء إلى هذا القسم من البديع، إذ إن جوهر الجناس [29] يقوم على الاشتراك اللفظي، فالتجنيس إذن ضرب من ضروب التكرار الذي يفيد في تقوية نغمية جرس الألفاظ، فهو يمثل ثنائية صوتية تتوافق فيها الصورة بين الكلمتين[30]، وقد يصل التطابق الجناسي إلى حد الاكتمال في اللفظ والوزن والحركة[31]، و لا يشترط في الجناس تشابه جميع الحروف بل يكفي تشابه بعضها ومن ذلك المثل القائل : "**الضرب بالسيف و لا حكم فرنسا بالسيف** " فهناك جناس تام بين لفظتي السيف الأولى التي تعني السلاح و

[27]- الأمثال الشعبية في منطقة المهير ، دراسة تاريخية وصفية ، قاسمي كهينة ، أطروحة ماجستير بجامعة المسيلة ، 2009.ص 78.

[28]- مفتاح العلوم ، أبو يعقوب بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي(ت ٦٢٦ هـ)، ضبطه وشرحه الأستاذ نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،،١٤٠٣ هـ /١٩٨٣ م ، ص 429/ الايضاح في علوم البلاغة ، جلال الدين أبو عبد الله محمد المعروف بالخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ) ، شرح وتعليق وتنقيح د . محمد عبد المنعم١٩٧١ م .، خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ص 227.

[29]- معجم المصطلحات البلاغية و تطورها ، د . أحمد مطلوب، مكتبة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨١ م.ج1 ، ص 73.

[30]-بناء الأسلوب في شعر الحداثة ، التكوين البديعي ، د . محمد عبد المطلب، القاهرة، ١٩٨٨ م.ص 65.

[31]-جدلية الافراد و التركيب في النقد العربي القديم ، د . محمد عبد المطلب، م .، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان، ط1 ، ص 146.

السيف الثاني التي تعني الاكراه والاجبار و الاستعمار و الاغتصاب ...يضرب هذا المثل في الجنود الذين اختاروا الثورة والانتفاظة و المقاومة و الاستشهاد على الرضوخ لحكم فرنسا الغاشم.

و هناك أيضا المثل القائل : "**يا قاتل الروح وين تروح** "، وقع الجناس بين لفظتي "الروح ، تروح فالملاحظ أن هناك اتحاد و تشابه تام بين اللفظتين لكن الدلالة تختلف و هذا النوع نادر في الامثال الشعبية ، هذا جناس تام أما بالنسبة للناقص فنمثل بما يلي : **أرضك هي عرضك .- المنية و لا الدنيا .- النار ولا العار .-الضرب الطوب و لا الهروب .- صدور لحرار قبور لسرار .-لسانك حصانك إذا صنتو صانك/ لولا لساني ما درى حد وين راني .-الرجال كي العرعار قلاعين كل عار** ، فتجانس كلمتين في مثل شعبي يزيد من جماليته،وقدرته على التأثير في النفوس،كون هذا التجانس والتكرار يبعث على رسوخه وسهولة حفظه،كما أنه يمتع السامع ويبعد عنه الملل،ويساعد في تثبيت المعنى في الذهن ويولد إيقاعا موسيقيا ناتج عن ترنم نفس الأصوات في الكلمة.

ج– التكرار الخالص:

ومن المحسنات اللفظية،نجد جانبا آخر جماليا وهو جانب التكرار،أي تكرار الكلمات في بعض الأمثال " والتكرار في اللغة هو مصدر" كر ر"إذا ردد وأعاد و **هو** : "دلالة اللفظ على المعنى مردداً "[32] ، وقد اختلف البلاغ يون في تضييق مساحة التكرار وتوسيعها ، فمنهم من قصره على إعادة اللفظ فحسب كما يتضمن التعريف السابق ، ومنهم من وسع دائرته ليشمل تكرار العبارة [33] و الصوت، لذا يمكن تعريفه بأنه : "الإتيان بشيء مرة بعد أخرى" [34].

فالأمثال الشعبية كثيرا ما تحمل صفة التكرارية لأنها ظاهرة تعبيرية مفادها التأكيد على الشيء و المبالغة فيه و نذكر منها : **وطني وطني** و لا مباتي فالقطني و أيضا "**العربي عربي** حتى و يكون الكولونال بن داود "أي أن العربي الأصيل لا يحيد عن أصله و لن يتخلى عن وطنه مهما بلغ إِقى المناصب و المراتب ، و من أمثلة التكرار أيضا : **الحر حر** و لو مسو الضر ، **السبع سبع** و لو في قفص ، اللي **يدّو** فالما ماشي كي اللي **يدّو** فالنار ، يراد بالتكرار التركيز على لفظة معينة ، بإعادتها في سياق النص حاملة لمعنى أو معان يقصدها الملقي وفق استعمال مخصوص، رغبة في إحداث وظيفة تأثيرية" جمالية و دلالية" في المتلقي. فالتكرار يساعد على حفظ الأمثال الشعبية،كما أنه ينتج الإيقاع،ويساعد العامة من الناس على تخليده في أنفسهم والاستشهاد به في المواقف التي تتطلب ذلك،كما أنه يقوم بوظيفة الإمتاع من جهة والإقناع من جهة أخرى.

د- الطباق و المقابلة :

الطباق وهو الجمع بين الشيء وضده في الكلام فمن الأمثال التي تجلى فيها نذكر : اللي ماذاق

[32]- المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ، ابن الأثير ، ص 156.

[33]-أنوار الربيع في أنواع البديع ، السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت ١١٢٠ هـ)، تحقيق شاكر هادي شكر، النجف الأشرف، ١٣٨٨ هـ /١٩٦٨ م ، ج 5 ، ص 345-357.

[34]-التعريفات ، علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) ، حققه وقدم له ووضع فهارسه ، د .إبراهيم الأبياري،دار الكتاب العربي، بيروت،لبنان، ١٤٢٣ هـ /٢٠٠٢ م، ص 57.

الحلو ما يعرف قيمة **المر** ، يظهر الطباق في لفظتي "الحلو و المر "، و كذلك " اللفعى ما تنحط فالجيب و العدو مايولي حبيب " الطباق يتمظهر في كلمتي : العدو و الحبيب.

المطابقة فهي أن يؤتى بمعنيين أو أكثر ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب و تكمن في الأمثال الآتية : "النسا بالأقوال و الرجال بالأفعال "، "نتغذى بيه قبل ما نتعشى بيا "، راح ذاك الزمان بناسو و جا هذْ الزمان بفاسو.

الخاتمة : نختم مقالنا هذا بجملة من النقاط:

عانى الشعب الجزائري كثيرا من قهر الاحتلال الفرنسي ،و أبرزها محاولة التشويش على الثقافة الشعبية و طمس الهوية الوطنية و تشويه الدين الاسلامي من خلال بث البدع والخرافات من جهة ،ومن جهة أخرى إحياء العصبية القبلية، لكن الثورة التي قادها الأشاوس كانت بالمرصاد سواء بحمل السلاح أو الكفاح بالقلم فتم الحفاظ على الموروث الشعبي بما فيها الأمثال

فنصوص الأمثال الشعبية تزخر بلغة ثرية تحمل في ثناياها ركائز أدبية وبلاغية , حيث تشكل المادة الخصبة الأولى والأساسية التي استلهمها الإبداع الشعبي في صناعة إيقاع النصوص و توليد دلالاتها. "المثل يمتلك قدرة خطابية وبلاغية تمكنه من توصيل الفكرة وتجسيدها، فالبلاغة بذلك هي تأدية المعنى الجليل واضحا بعبارة صحيحة فصيحة لها في النفس أثر خلاب، مع ملاءمة كل كلام الموطن الذي يقال فيه والأشخاص الذين يخاطبون"[35] ،حيث احتل مكانة هامة بين أشكال الأدب الشعبي الأخرى ، كونه يتميز بخصائص أهلته للخلود في صدور النّاس، وتداوله بين الأوساط الشعبية ،كالإيجاز والتعبير عن واقع المجتمع من خلال إرساء أعرافه وتقاليده هو مادة بلاغية وأدبية وتاريخية ثرية تساعد على كشف مكنونات المجتمع ، وقدرة لغته على التعبير في جميع الأحوال الإنسانية.

و عليه عد المثل الشعبي من بين أكثر أشكال الأدب الشعبي تعبيرا أو قدرة على التعبير عن مقاصد الثورة التحريرية بكل مناحيها ،نتيجة لما يتميز به من موسيقى وإيقاع وبلاغة، و جسد قدرة خطابية وبلاغية مكنته من توصيل الفكرة وتجسيدها، فقد كان للأمثال دور كبير في دعم الثورة و الثوار ،حتى إنها قد صيغت في الأشعار، وهذا ما أضفى عليها بلاغة كبيرة، وساعدها على الخلود، رغم مضي الزمن.

[35]- البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع، الجارم علي ومصطفى أمين، ط1، 1995م ص08.